شرح القواعد الأربع

للشيخ أبي يوسف مصطفى مبرم

حفظه اللّه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله و صحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين أما بعد :

فهذا هو المجلس العاشر من مجالس معهد علوم التاصيل التابع لشبكة إمام دار الهجرة العلمية وهذا هو أول مجلس من مجالس الكتاب الثاني المقرر في هذا المعهد وهو كتاب القواعد الأربع لشيخ الاسلام والمسلمين ومجدد الملة والدين أبي عبدالله وأبي علي محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي رحمه الله تعالى، وقلنا سلفاً بأنه سيضطرد معنا مقدمتان:

المقدمة الأولى: متعلقة بالمصنِّف .

والمقدمة الثانية: متعلقة بالمصنَّف .

والعهد قريب بالمصنِّف لأن الكتاب الأول الذي قُرأ كان هو الثلاثة الأصول وقد عرَّفنا بتعريف مقتضب مختصر في ذلك ، والعهد قريب بالكلام عن المصنِّف لأننا كنا قد شرحنا متن الثلاثة الأصول وعرَّضنا بالمصنِّف إذ ذاك، وأما في هذا المقام فإن الكلام سيكون عن المصنَّف ألا وهو القواعد الأربع، وقد ذكرنا من قبل أيضاً بأن من أسباب فهم الكتب معرفة مقاصد المصنِّفين كما قاله الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنجري رحمه الله و هذا أمر معلوم، فالمصنَّف رحمه الله تعالى قد أفصح عن مقصده في تصنيف هذه الرسالة المختصرة المقتضبة التي جمعت معانٍ كثيرة وجمعت قواعد عظيمة فإنه قال رحمه الله تعالى، بعد أن فرغ مما قدَّم به لها بقوله : **وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه لأنه قال، فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل و صار صاحبه من الخالدين في النار عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك لعل الله أن يُخلِّصك من هذه الشبكة وهي الشرك بالله الذي قال الله تعالى فيه "إن الله لا يغفر أن**

يُشرَك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه.

فالمصنِّف رحمه الله تعالى هنا أفصح بمقصده من هذه الرسالة، وهذه الجملة وهي قوله : **وذلك بمعرفة أربع قواعد،** هذه الجملة، جملة تعليلية عند البلاغيين بمعنى أنه علَّل تصنيفه لهذه الرسالة ولهذه الأربع القواعد لتكون وسيلةً وسببا لمعرفة الشرك ومعرفة أهله ، والرب تبارك وتعالى قسم الناس إلى فريقين وجعلهم يسيرون على طريقين ويؤوون إلى نهايتين أو يصلون إلى نهايتين، فإن الله جل وعلا قال في كتابه الكريم ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن:٢] ، هذا حالهم في الدنيا من جهة الأسماء، وحالهم في الأخرة من جهة الأحكام أن الله تعالى قال ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى:٧] ، وهذان الصنفان من الناس، لكل واحد منهما طريق يسلكه ونهاية يصل إليها فإذا عرفت طريق الشرك وطريق أهله وسبيل الشرك وسبيل أهله تعرفت على التوحيد الذي بعث الله تبارك وتعالى به الرسل وأنزل به الكتب، فإذا عرفت هذه القواعد وفهمتها سهل عليك بعد ذلك معرفة التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه ومعرفة الشرك الذي حذَّر الله منه، وبيَّن خطره وضرره في الدنيا والأخرة وهذا أمر مهم وهو ألزم عليك من معرفة أحكام الصلاة والزكاة وسائر العبادات وقد جاء في الصحيح في حديث حذيفة بن اليمان أن حذيفة رضي الله عنه كان يقول [كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني] ، وقديما قالوا:

والضد يُظهر حُسنَه الضد *** وبضدها تتميز الأشياء

فإذا تعرفت على هذه القواعد الأربع، عرفت الشرك وعرفت أهله وعرفت التوحيد استطعت أن تحكم على الأقوال وعلى الإعتقادات وعلى الأعمال بأنها شرك أو توحيد،

هذا ما قصده المصنِّف بتصنيفه لهذه الرسالة العظيمة، وابتدأها على عادته بذكر البسملة وبالدعاء للواقف عليها فقال: **بسم الله الرحمن الرحيم .**

قلنا بأن المصنف رحمه الله تعالى قصد في تصنيفه لهذه الرسالة أن يبين القواعد التي يعرف بها التوحيد والقواعد التي يعرف بها الشرك وبدأها على عادته رحمه الله بذكر البسملة وبالدعاء للواقف عليها، والبسملة تقدم الكلام عليها في الثلاثة الأصول بشيء مختصر مقتضب وافٍ إن شاء الله تعالى بالمقصود، والبسملة كما قال المصنِّف في بعض كتبه فيها استعانة وبركة بمعنى أن الْمبَسمِل مستعين بالله تعالى وطالب للبركة منه، ثم شرع بالدعاء لمن وقف على هذه الرسالة ومن بلغته، فقال رحمه الله تعالى : **أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والأخرة وأن يجعلك مباركاً أينما كنت وأن يجعلك ممن إذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب إستغفر، فإن هؤلاء الثلاث أو فإن هذه الثلاثة عنوان السعادة .**

لمّا كان من القواعد المتقرّرة في باب أسماء الله تعالى وصفاته أن يُدعى اللهُ جلّ وعلا في كلّ موطن بما يناسبه من أسمائه وصفاته، ذكر المصنّف رحمه الله تعالى هنا الدعاء باسمه الكريم لأنّ من كرمه وسَعَة فضله أن يتفضّل على عبده بأن يمُنَّ عليه بالبركة والوَلاية ودوام النّعم وزوال الكروب فإن هذا كرم من الرّبّ تبارك وتعالى.

ومن أسمائه جلّ وعلا: الكريم، الذي يُكرِمُ عبادَه ويتفضَّلُ عليهم.

وقول المصنّف رحمه الله تعالى هنا: **أسأل اللهَ الكريمَ ربَّ العرشِ العظيم .**

هذا وصف للرّبّ لأنّه صاحب العرش وربّ العرش ، والعرش وصفه المصنّف كما وصفه الله تبارك وتعالى في كتابه بالعظمة وذلك في آخر سورة التوبة حين قال الرّبّ تبارك وتعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ

الْعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٩] ، وعظمة عرشه دليل على عظمته تبارك وتعالى وأنّه العظيم جلّ في علاه.

ثمّ قال المصنّف رحمه الله: **أن يتولاّك في الدّنيا والآخرة** .

أن يتولاّك بأن يكون وليّاً لك، يتولى أمورَك وشؤونك في الدّنيا والآخرة ، بأن يتكفّل بحِفظِك ورعايتِك وكلأتِك في هذه الحياة الدّنيا لأنّ من كان الله جلّ وعلا مولاه فقد كفاه، وأن تصحَبَك هذه الوَلاية إلى الآخرة لأنّ من حافظ على حقوق الله في الدّنيا ووالى اللهَ تبارك وتعالى في الدّنيا كان من آثار ذلك وثماره أن تصحَبَه تلك الولاية في آخرته ، فقد قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة:٥٥] وقال في حق نبيّه عليه الصلاة والسلام: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم:٤]، فمن نال ولاية الله تبارك وتعالى بتقرّبه إليه والعمل بمراضيه والاه اللهُ تبارك وتعالى، كما دلّ على هذه الإشارة قوله جلّ وعلا في الحديث القدسي الذي خرّجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: [ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنّوافل حتى أُحبّه] ، لأنه قال في أوّله: [من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب]. والمُقدَّمون في الوَلاية هم الأنبياء والرّسل والصّالحون من بعدهم، وقد قال الإمام أبو حنيفة والإمام الشافعي لما رواه عنهما الخطيب (إذا لم يكن العلماءُ هم أولياءُ الله فليس لله وليّ)، فإذا تولاّك الله كان من آثار وَلايَته عليك أن يُوَفّقك للخير ، أن يُيسّره لك، أن يُبعِد عنك الشّقاء، أن يجعلك سعيداً في الدّنيا والآخرة، أن يجعلك سالكاً للطريق المستقيم، فتلك هي حقيقة وَلاية الله جلّ جلاله، وهذه هي أوّل هذه الدّعوات التي دعا بها المصنّف رحمه الله تعالى للواقف على رسالته هذه، طالباً أو حافظاً أو قارئاً أو شارحاً أو مستشرحاً، ثمّ دعا بدعوة ثانية لا غِنى لكلّ مسلم عنها فقال: **وأن يجعلك مباركاً أين ما كنت** أن يجعلك مباركاً أين ما كنت أي ممّن تناله البركةُ وتُنال البركةُ من جهته

بمعنى أنّه يكون مباركاً بالدلالة على الخير والعلم ونشره، فبركات أولياء الله الصّالحين الذين قدّمتُ لك بأنّ في مقدَّمتهم الأنبياء والعلماء، فبركات أولياء الله الصّالحين باعتبار نفعهم للخلق بدعائهم إلى طاعة الله وفي دعائهم للخلق وبما يُنزلُ اللهُ من الرّحمة وما يدفع من العذاب بسببهم حقٌّ موجود، فمن أراد بالبركة ، هذا وكان صادقاً فقوله حق وأمّا المعنى الباطل لهذه البركة وأمّا المعنى الباطل فمثلُ أن يريد الإشراك بالخلق مثل أن يكون رجل مقبور بمكان فيظنّ أن الله يتولاّه لأجله وإن لم يقم بطاعة الله ورسوله فهذا جهل وشرك بالله تعالى كما قرّره شيخ الإسلام أبو العبّاس أبن تيميّة رحمه الله تعالى كما في مجموع الفتاوى - ابن القاسم - وبعض النّاس ربّما قال إنّ هذا وقع له ببركة الشيخ أو الشيوخ فقد يعني بهذا، يعني بها، الدّعاء، قال شيخ الإسلام: (وقول القائل: ببركة الشيخ، قد يعني بها دعاءه وأسرع الدعاء إجابةً دعوة غائبٍ لغائب وقد يعني بها بركة ما أمره به وعلّمه من الخير وقد يعني بها بركة اتّباعه له على الحق ومحبّته له في الله وطاعته له في طاعة الله وقد يعني بها بركة معاونته له على الحقّ وموالاته له في الدّين ونحو ذلك وهذه كلّها معان صحيحة وقد يعني بها دعاء الميّت والغائب إذ استغلال الشيخ من ذلك التأثير أو فعله لما هو عاجز عنه غير قادر عليه أو غير قاصد له، ومتابعته أو مطاوعته على ذلك من البدع والمنكرات...) إلى آخر ما قرّره شيخ الإسلام رحمه الله، وفهم هذه المسألة مهمّ جدّاً لأنّ بعض النّاس ربّما يظنّ أنّ البركة الواقعة بالعالِم أو بالصالحين بركة من جهة ذواتهم، هذا خلل في التوحيد وهو من الفتن العظيمة التي تعلّقت بها قلوب كثيرين من النّاس، ومن نفائس الشاطبي التي انفرد بها أنه حكى الإجماع، إجماع الصّحابة على أنهم كانوا يتبرّكون بالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وبآثاره ثمّ عكس الإجماع بأنّهم لم يكونوا يفعلون هذا مع غيره عليه الصّلاة والسّلام، فلم يُنقَل إلينا أنّهم تبرّكوا بأبي بكرٍ أو بعمر أو بعثمان أو بعليٍّ رضي الله عن الجميع، جميع العشرة وأصحاب الشجرة. ولم يتبرّك بعضهم ببعض فدلّ إجماعُهم على هذا الفعل وعلى هذا التّرك على أنّه لا

يجوز أن تُطلب البركة من الذّوات سوى من ذات النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، والبركة من الله كما قال نبيُّنا عليه الصّلاة والسّلام، وقد قال الرّبّ جلّ وعلا في كتابه الكريم عن نبيّه عيسى عليه الصلاة والسّلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ [مريم:٣١] ، يعني كما قال أئمّة التفسير: (جعلني معلّما للخير وداعية إلى الخير)، فالمصنّف رحمه الله تعالى قال: **وأن يجعلك مباركاً أين ما كنت**، والبركة لزوم الخير وثبوته وزيادته ونماؤه، فهو يدعو لك بعد أن تكون وليّاً لله أن تكون المباركة من الله ملازمة لك وزائدة عندك.

ثمّ دعا بدعوة ثالثة فقال: **وأن يجعلك ممن إذا أُعطي شكر وإذا ابتلي صبر**.

العبد يتقلّب بين سرّاءَ تُسعده فيشكر اللهَ عليها وبين ضرّاءَ تُتعِسه فيصبر عليها، دلّ على هذا ما جاء في صحيح الإمام مسلم من حديث أبي يحيى صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه أنّ نبيَّنا عليه الصلاة والسّلام قال: [عجباً لأمر المؤمن إنّ أمرَه كلّه له خير إن أصابته سرّاءُ شَكَرَ فكان خيراً له وإن أصابته ضرّاءُ صَبَرَ فكان خيراً له وليس ذلك إلاّ للمؤمن] أو كما قال نبيّنا عليه الصّلاة والسّلام، فإذا عرفت أنّ العبد يتقلب بين السّرّاء والضّرّاء فإنّ السّرّاء لها مقابلة والضرّاء لها مقابلة، فبماذا تُقابَلُ السّرّاءُ ؟ تُقابَلُ السّرّاءُ بالشّكر لا بالفرح والبطر والأشر ، وتُقابلُ الضّرّاء بالصبر لا بالجزع والتسخّط وهذا الذي ينبغي ويجب أن يكون عليه حال المؤمن، فهو يقول لك : **وأن يجعلك ممن إذا أُعطي** وجعل الفعل هنا لما لم يُسمَّ فاعلُه لأنّه معلومٌ فإنّ العطاء إنّما يكون من جهة الرّبّ، فهو الذي يُعطي عبادَه، وكذلك **إذا ابتلي صبر**، فإذا أُعطي العبد شكر إعترافاً بالقلب بمعنى أن يُحدّث قلبَه بهذه النّعمة أنّها من الله وتحديثاً باللسان وعملاً بالجوارح، ﴿اعِمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾، وفي هذا العمل يدخل عمل القلب وعمل الجوارح وهذه هي أركان الشكر، فإنّ الشكر لا يصحُّ إلاّ بهذه الأركان الثلاثة.

وأركان الشكر ثلاثة:

١- إعتراف القلب ٢- وتحديث اللسان ٣- وعمل الجوارح والاركان بصرفها في طاعة الله تبارك وتعالى .

كما قرر ذلك أئمة الإسلام ومنهم الحافظ أبن القيم عليه رحمة الله .

وإذا أبتلي صبر: حبس نفسه ، حبس قلبه ولسانه وجوارحه عن التجزع والتسخط عند الصدمة الأولى فإن حقيقة الصبر حبس النفس عن هذه المواطن عن الجزع والسَخَط أو السُخْط فإذا إبتلاه الله بنوع من البلاء والإختبار الذي يختبر به إيمانه وديانته وصدقه مع الله فإنه يصبر والصبر ثلاثة أنواع:

١- صبر على الأقدار المؤلمة .

٢- وصبر على طاعة الله بفعلها .

٣- وصبر عن معصية الله بإجتنابها .

وإذا أذنب إستغفر: وهذه دعوة خامسة على ما ذكره المصنف: **أسال الله أن يتولاك** أن يجعلك ولياً هذه واحدة ، **أن يجعلك مباركاً أينما كنت** هذه ثانية ، **أن يجعلك ممن إذا أعطي شكر** هذه ثالثة ، **وإذا أبتلي صبر** وهذه الرابعة ، **وإذا أذنب إستغفر** .

لما كان العبد والمؤمن ليس من شرط ولايته لله ولا تقواه لله أن يكون معصوماً من الذنب كما قرر ذلك شيخ الإسلام رحمه الله بكلام نفيس له في "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان" ، لما كان المؤمن ليس من شرط إيمانه وولايته وتقواه لله أن يكون معصوماً بل ترد عليه الذنوب ، ترد عليه المعاصي ، تناجيه نفسه شيطانه كما قال جل وعلا ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۞

وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الاعراف:٢٠١-٢٠٢] ، وكذلك في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [ال عمران:١٣٥] ، قال هذه الصفات بعد أن قال أعدت للمتقين ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۞ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [ال عمران:١٣٤-١٣٥] ، فلما كان هذا حال المؤمن كان محتاجاً إلى الإستغفار والعبد متقلب بين هذه الأمور ، وقد تصيبه الذنوب فيستغفر الله تبارك وتعالى ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ وكما جاء في الصحيحين في قوله جل وعلا في الحديث القدسي [من يستغفرني فأغفر له] ، في نزوله جل وعلا ، فالمؤمن يحتاج إلى هذه الأمور ولما ذكر هذه الدعوات قال: **فإن هذه الثلاث** أي الثلاث الأخيرة **عنوان السعادة** يعني أن يجعلك ممن إذا أعطي شكر ، أعاد الضمير على الثلاث فقط ونص عليها لماذا ؟

لأن هذا هو محصل كلام الحافظ أبن القيم رحمه الله ، فإن المصنف رحمه الله تعالى وإن لم يشر هنا أخذ هذا الكلام من الحافظ أبن القيم رحمه الله تعالى في كتابه "الوابل الصيب من الكلم الطيب" وذكر هذه الثلاث المسائل ، هذه الثلاث الدعوات ، هذه الثلاثة الأمور وهو أنك إذا أعطيت شكرت ، وإذا أبتليت صبرت ، وإذا أذنبت إستغفرت ، إذا إجتمعت فيك هذه الخصال الثلاث فإنها عنوان السعادة ، والعنوان كما هو معلوم ما يفصح ويبيّن عن مضمون الشيء فحقيقتك أنك سعيد متى ؟ إذا أعطيت شكرت ، وإذا أبتليت صبرت ، وإذا أذنبت إستغفرت فإذا إجتمعت فيك تلك الخصال فقد نلت السعادة التي ينفق عليها أصحاب الملك ملكهم وأصحاب المال أموالهم وأصحاب الجاه جاههم فمن أتاه الله تبارك وتعالى هذه الأمور الثلاثة فقد حيزت له السعادة .

ثم أنتقل المصنف رحمه الله تعالى إلى توطئة بهذه الرسالة العظيمة فقال :

إعلم أرشدك الله لطاعته : هذا أيضاً دعاء دعا بالرشد لك ، والرشد هو السداد لأنه ضد الغي وأستعمل في القرآن للتقابل بينهما بين الرشد والغي كما قال تبارك وتعالى ﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦] ، وكما قال جل وعلى ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الاعراف:١٤٦] ، فهو يقول أرشدك الله لطاعته أي جعلك راشداً ومر معنا في الثلاثة الأصول أن الطاعة فعل المأمور يعني يراد بها فعل الأوامر وإجتناب النواهي هذا حقيقة الطاعة قال: **أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله مخلصاً له الدين وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها كما قال تعالى** ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ، الحنيفية مر معنا في الثلاثة الأصول أن كثيرين من العلماء فسروها باللازم بمعنى أنها ميل عن الشرك وإقبال على التوحيد وأبن القيم رحمه الله تعالى أبدى إعتراضاً على هذا التعريف في "جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام" وأن التفسير الصحيح لها بأنه الإقبال على الله ، الميل عن ما سواه ، وهذا هو أيضاً قول شيخ الإسلام أبن تيمية رحمه الله تعالى في طائفة من كتبه وهو المعتمد فيما يقرره شيخنا العلامة الفوزان رحمه الله تعالى في دروسه وشروحه فالحنيف: هو المقبل على التوحيد المائل عن الإشرك ، قد تكلمنا عن الوجه اللغوي في هذا في الثلاثة الأصول ، ملة إبراهيم أي دينه الذي كان عليه وأمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بإتباعه فقال ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٣] ، فالله جل وعلا برأه من اليهودية والنصرانية ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:٦٧] ، وبيّن هذه الحنيفية ما هي ؟ بقوله (أن تعبد الله مخلصاً له الدين) ومخلصاً هنا حال ، بمعنى أن حالة أن تكون مخلصاً لله تعالى ، أن تعبد الله حال كونك مخلصاً له لأن الله لا يقبل العبادة إلا إذا كانت خالصة له لم يخالطها شرك أكبر ولا شرك أصغر ، **مخلصاً له الدين** وهذه هي الحنيفية كما فسرها المصنف **أن تعبد الله** وهذا معنى قوله لا إله إلا الله مخلصاً له الدين فلا تعبد إلا الله وتجتنب

الشرك ولأن المصنف رحمه الله سيذكر لك أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وسيبين لك ما سيربط به بهذه أو في هذه القضية ، بين ما ألفه الناس من حرصهم على عبادتهم العملية وهي الصلاة في أن ذلك يجب أن يكون أيضاً في جميع أمورهم وأعظمها ومن ذلك أو أعظم ذلك التوحيد أن الحنيفية ملة إبراهيم ، ما الحنيفية ؟ أن تعبد الله مخلصاً له الدين فمن لم يعبد الله أو عبده وعبد غيره معه لم يكن حنيفاً وبذلك أمر الله جميع الناس دون إستثناء ويدخل فيهم الجن كما ذكر ذلك في الثلاثة الأصول قبل ، **وخلقهم لها** أي أن الغاية التي خلقهم لها هي عبادته ، **كما قال تعالى** يعني أن الدليل الدال على هذا الأمر قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون﴾ تقدم معنا أن هذه الآية فيها نفي وإثبات وأن هذا هو أقوى أساليب الحصر عند العرب وأقوى اساليب القصر عند البلاغيين لأن الله حصر خلق الخلق في غاية واحدة وهي عبادته وفسّر المصنف رحمه الله إلا ليعبدون في مواطن من كتبه في قوله يوحدون وأعظم ما أمر الله به التوحيد وأعظم ما نهى عنه الشرك ولما فرغ من هذا قال: **فإذا عرفت** وهذه الفاء يعني تفريعية فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته أي من أجل عبادته يقول لك **فأعلم** **فأعلم أن العبادة لا تسمى عبادةً إلا مع التوحيد** وقد جاء في الصحيحين في قصة إرسال النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى اليمن أنه قال له في رواية [إلى أن يعبدوا الله] وفي رواية [إلى أن يوحدوا الله] وفي رواية قال [أدعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله] فدل هذا على التلازم بين هذه الأمور فقال: **لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد** فالعبد لا يسمى عبداً على الحقيقة التي هي العبادة الإختيارية إلا إذا كان موحداً لماذا ؟ لأن الإنسان قد يعبد الله ويعبد غيره معه ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦] ، ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦] ، وإنما نهاهم عن الإشراك في عبادته بوقوعه قال رحمه الله: **كما أن الصلاة لا تسمى صلاةً إلا مع الطهارة** ، أراد أن المصلي من جهة التسمية ومن جهة الحقيقة لا يسمى مصلٍ ولا تسمى صلاته صلاة إلا إذا كانت مع الطهارة

والطهارة كما هو معلوم شرط في صحة الصلاة هذا أمر مجمع عليه من جهة طهارة الحدث فإذا صلى بغير طهارة فإنما أدى أفعالاً صورتها صورة الصلاة ولكنها ليست في حقيقة الأمر صلاة كما قال النبي عليه الصلاة والسلام لذاك الرجل [إرجع فصل فإنك لم تصل] مع أنه إستقبل القبلة وأدى بعض الأعمال المتعلقة بالصلاة ، فالمصلي لا يسمى مصلياً ولا يسمى فعله صلاة إلا إذا عملها على مقتضى الصورة الشرعية ظاهراً وباطناً ، فمن صلى أو أدى تلك الأفعال بدون طهارة لم يكن مصلياً في حقيقة الأمر .

قال رحمه الله: **فإذا دخل الشرك في العبادة أفسدته** : يقول هنا رحمه الله فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة ، **كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت** خالطها ودخل فيها كالحدث إذا دخل في الطهارة ، الحدث الذي هو حدث أكبر أو حدث أصغر الذي هو الناقض للوضوء إذا دخل في الطهارة أفسدها يفسد بذاك الحدث إذا دخل في الطهارة يعني أنه يفسدها ، وإنما ضرب المصنف رحمه الله تعالى هذا المثل بأمرين إثنين والله أعلم :

الأول منهما: أن الذين خالفوه في مسائل التوحيد وإفراد الله بالعبادة قد أغرقوا وأغرقوا أنفسهم بالتعرف على الأحكام الفرعية العملية ومعرفة وجوهها وحفظ نصوصها ومتون الفقه المتعلقة فيها بما لم يعطوا عشره بمعرفة التوحيد الذي بعث الله به رسله عليهم الصلاة والسلام .

والأمر الثاني: أن هذا فيه تقريب للعامة فإن العامة يفهمون مثل هذا الأمر ، لا تجد عامياً لا مشاركة له في العلم يصلي إلا وهو يعلم أن الصلاة لا تصح إلا بالطهارة ، فأراد أن يقول له بأنك كما أنك لا تصلي إلا بطهارة لأن الصلاة لا تصح إلا بها وكذلك لا تعبد الله إلا بالتوحيد لماذا ؟ لأن العبادة لا تصح إلا مع التوحيد ، فهو رحمه الله وجزاه الله خيراً عن الإسلام والمسلمين في تقريبه للعلم سلك كل السبل الموصلة إليه .

وبهذا القدر نكتفي في هذا المجلس ولم نضبط فيه الوقت بسبب ما حصل من الإنقطاع ونسأل الله جل وعلا أن يبارك في الجميع وأن ينفعنا بما سمعنا وأن يعلمنا ما ينفعنا وهو ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الأسئلة:

١- يقول هل يجوز أن تقول لأحد تركنا لك بركة العلم ؟

الجواب: يعني أنه علّمه شيئاً ثم قال له تركنا لك بركة العلم ؟ إن كان هذا مراده فلا بأس به وهو لفظ ومراد صحيح ، أما إذا قال تركنا لك العلم إستغناءً عن العلم ، إستغناءً عن موارده ؟ فهذا لا يجوز ، لا يجوز للمسلم أن يستغني عن العلم بأي وجهٍ من الوجوه بل لا حياة لظاهر الإنسان وباطنه إلا بالعلم .

الناس من جهـــة التمثـــال أكفـــاء --- أبـــــوهم آدم ، والأم حـــوّاءُ

وإنمـــــا أمهات الناس أوعـيــــــة --- مســـتودعات، وللأحساب آباءُ

فإن يكن لهم مـــن أصلهم شـــــرف --- يفـاخـــرون به ، فالطـين والماءُ

وإن أتيت بفخر مـــن ذوي نســـب --- فإن نســـــــبتنا جـــود وعلياءُ

ما الفضل إلا لأهـــــل العلم إنهـــم --- على الهـدى لمن استهدى أدلاءُ

٢- يقول هذا السائل هل متن القواعد الأربعة إختصار لكتاب كشف الشبهات ؟

الجواب: لا ولا أعلم أحداً من أهل العلم زعم بذلك من جهات كثيرة :

أولاً : ما ذكرته لك بأننا لا نعلم أحداً من أهل العلم من أئمة الدعوة الذين عاصروا الشيخ أو الذين جاؤا بعده ذكروا هذا الذي قلته أو أديته .

ثانياً: ولأن الأسلوب متغاير جداً ، لأن كتاب كشف الشبهات كتاب نقض ورد ، وكتاب القواعد الأربع كتاب عرض وتقرير .

وأمر ثالث: أن العلماء جرت عادتهم على أن يجعلوا كتاب القواعد الأربع أو رسالة القواعد الأربع تابعة للثلاثة الأصول من جهة الطبع أي من جهة طباعة الكتاب (الكتب) ومن جهة الدراسة كما ذكرت لكم بالمنهجية في شرح المتون وفهمها أن الذي جرت عليه عادة العلماء أن يجعلوا رسالة القواعد الأربع في الدراسة تالية لثلاثة الأصول من أجل فهم التوحيد وفهم الشرك .

٣- يقول لماذا قال المصنف هؤلاء الثلاث ولم يقل الخمسة كما قلت وجزاك الله خيراً ؟

الجواب: وإياك ، لأنه عنى الثلاث الأخيرة التي ذكرها أبن القيم ، أبن القيم رحمه الله قال أن يجعلك ممن إذا أعطي شكر وإذا أبتلي صبر وإذا أذنب إستغفر فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة أو هذه الثلاث عنوان السعادة ، ثم شرحها أبن القيم رحمه الله بكلام نفيس جليل ينبغي مراجعته في كتاب "الوابل الصيب من الكلم الطيب" .

٤- يقول ما معنى الفاء التفريعية ؟

الجواب: يعني التي تأتي للتفريع ، لتفريع ما قبلها بياناً وإيضاحاً لها وهي من معاني الفاء لأنها تأتي للتعقيب وتأتي للتفريع وتأتي للتعليل إلى غير ذلك .

٥- يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، أحسن الله إليكم ، وإليكم ، في أي كتاب يوجد مقولة أبن القيم ؟

الجواب: ذكرته قبل قليل وهو كتاب "الوابل الصيب من الكلم الطيب" فقد ذكر هذه الثلاث المسائل وشرحها بشرح نفيس تكلم فيه على الإبتلاء والصبر عنده والنعم والشكر عندها والذنوب والإستغفار منها .

٦- يقول أريد توضيح عن البركة المكروهة لم أفهمها جيداً جزاك الله عنا كل خير ؟

الجواب: وجزاكم أنتم كل خير ، لعل السائل وفقه الله يشير إلى ما ذكرته من كلام شيخ الإسلام أبن تيمية رحمه الله تعالى لما ذكر أنواع البركة أو ما يقصد به البركة ولكن لا أذكر أني ذكرت لا في كلامي ولا فيما نقلته عن شيخ الإسلام بالتنصيص على أن من البركة ما هو مكروه ، ولكن ذكرنا كلام شيخ الإسلام وكلام الشاطبي والكلام على البركة كثير كثير جداً لكن إن تيسر الأمر إن شاء الله وأنتهينا من هذا المستوى أخذنا كتاب التوحيد وفي ضمنه ذكر المصنف رحمه الله تعالى الكلام على البركة "باب من تبرك بشجر وحجر ونحوهما" وهي من الفتن العظيمة الواقعة في هذا العصر المتجسدة فيما سموه بتتبع الآثار فإنها مفضية إلى هذا الباطل .

٧- يقول هل العدد له مفهوم في قول القواعد الأربع ؟

الجواب: هذا ما سنذكره إن شاء الله تعالى في الدرس القادم وسأذكر لكم ما قرره شخينا العلامة أبن عقيل رحمه الله تعالى على هذا الموضع مما أملاه عليّ وسمعته منه في الكلام على هذا الموضع ، وخلاصة الجواب أن هذا العدد لا مفهوم له وإنما أراد المصنف رحمه الله قواعد مهمة يحتاج إليها المسلم في معرفة الشرك ومعرفة طريق أهله ومعرفة التوحيد ومعرفة طريق أهله ومصير كل منهما .

٨- سائل يقول أحسن الله اليكم ، وإليكم ، بعض الناس إذا دخل الضيف قالوا زارتنا البركة ، وكذلك إذا جاء الناس من الحج وأحضروا بعض الهدايا قالوا هذه بركة مكة فما حكم هذا ؟

الجواب: قال العلماء رحمهم الله ، لأن قول القائل إذا جاءه الزائر "زارتنا البركة" إن أراد أن هذه البركة من ذات ذلك الشخص هذا لا يجوز ويجب منع هذه المقولة ، أما إذا كان من أهل العلم والفضل والدين والصلاح وأنه إذا نزل عندهم فإنه سيعلم وسيقوم

بالفتوى وسيفعل ما أشبه ذلك من الدعوة إلى الله فهذا لا مانع منه ، أما قول القائل جاءتنا بركة مكة فهذا لا يجوز ولا وجه له إلا إذا كان مما جاء به ما دل الدليل على أنه بركة كبركة ماء زمزم فإنه قد دل على أنه ماء مبارك من جهة شربه والتضلع منه .

٩- يقول أحسن الله إليكم ، وإليكم ، هل هذه فقط عنوان السعادة أم على سبيل الإجمال ؟

الجواب: كما ذكرت على سبيل الإجمال وكلها من مستلزمات التوحيد ومقتضياته والسعادة أو أسباب السعادة كثيرة جداً لا يحصيها إلا الله ، كل طاعة تفعلها هي من أسباب السعادة لكن هذه الأمور يرجع إليها كثير من أفعال العباد الظاهرة والباطنة ، ولأنها أيضاً فيها دلالة على معرفة العبد بحقوق ربه تبارك وتعالى .

١٠- يقول جزاكم الله خيراً ونفع بكم ، وإياكم ، كيف يتحقق العبد ولاية الله في الدنيا والآخرة وكيف يجد أثرها في نفسه ؟

الجواب: أما كيفية تحققها فأسباب الولاية وأسباب حصول ولاية الله للعبد كثيرة جداً ومما يدل عليها ما ذكرته لكم في تقرير الدرس من حديث أبي هريرة [ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما أفترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه] إلى أخر الحديث فكل طاعة تعملها تقربك إلى الله تعالى هذا مما يقربك إلى ولايته وأما كيف تجد أثرها ؟ أنت إذا عملت بأسبابها فستجد أثرها في نفسك من توفيق الله تبارك وتعالى لأمور الخير وتيسيره الخير لك ومن ذلك العلم والعمل كل هذا مما ستجني آثاره وثماره بسبب هذه الولاية كما جاء في حديث أبي هريرة المتقدم ذكره قال [فإذا أحببته] يعني صرت وليه صار ولياً لله [كنت سمعه الذي يسمع به] فلا يسمع إلا خيراً [وبصره الذي يبصر به] فلا يبصر إلا خيراً إلى أخر الحديث ، وهو معلوم وهو من أحاديث الأربعين وقد أطال العلماء في شرحه ومن أجمع وأحسن شروحه شرح الشوكاني رحمه الله له الذي سماه بقطر الولي .

١١- يقول ما الفرق بين الشكر والحمد ؟

الجواب: في الحقيقة أنني لا أعتني كثيراً فيما أقيمه من الدروس في بعض المتون المختصرة عندما مر معنا في الثلاثة الأصول والقواعد الأربع لا أقحم في متن ما ليس منه **أولاً** .

وثانياً إن هذا يعني ليس مقصوداً فأنتم تعلمون أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله لم يذكر الحمد فضلاً عن الشكر لا في الثلاثة الأصول ولا في الأربع القواعد أو القواعد الأربع وهذه الأمور يذكرها بعض الشُرّاح في الكتب المتوسطة وفي الكتب المنتهية يذكرون الفرق بين الحمد والمدح ، والحمد والشكر ، وما أشبه ذلك فيعني كون طالب العلم يتعرف على هذه الأشياء وقد أطال العلماء فيها هذا شيء حسن لكن ليس من سياسة الشرح ومعرفة المتون أن يقحم فيها ما ليس منها ، وعلى كل حال إختصاراً على السائل فيما سأل فيه فإنهم يقولون بأن الشكر أعم آلة وأخص متعلق ، والحمد أعم متعلق وأخص آلة ، هذا متن يحتاج إلى شرح ، يقولون بأن الشكر على النعماء وهذا من جهة إختصاصه بالمتعلق وأعم من جهة الآلة التي يشكر بها وهي القلب واللسان والجوارح وأعني بأن المصنف لم يذكر هذا في المقدمة إلا أنه ذكره في ما دعا فيه فنعم والحمد متعلقه أو آلته اللسان ومتعلقه أعم فهو على كل على النعماء وعلى السراء وعلى الضراء الرب تبارك وتعالى محمود عليها هذا حاصل ما ذكره أبن القيم رحمه الله .

١٢- يقول هل نقول القواعد الأربع أو الأربعة ؟

الجواب: لا ، القواعد الأربع ، هذا هو المشهور في عنوانها ووقفت على بعض المخطوطات على تسميته بالقواعد الأربعة وعلى إعتبار التذكير والتأنيث كما لا يخفاكم في مسائل النحو لمن أراد التذكير أو أراد التأنيث .

١٣- يقول لماذا أكثر الشيخ من الدعاء في هذا المتن خاصة ؟

الجواب: لأن الأمر الملقى ثقيل ، الأمر الملقى عليه ثقيل وإذا كان الأمر ثقيلاً إحتاج إلى تمهيد زائد ، والمصنف رحمه الله تعالى في هذا المتن ذكر قواعد جليلة يعني ستنتبهون إن شاء الله تعالى لها فإنها على صغر حجمها تعتبر شَجَاً في حلوق من عارض دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وسنتكلم عليها إن شاء الله تعالى بما يناسب مقامها وإلا فإنها مفتاح (أنتبه لهذا) فإنه بمثابة المفتاح أو مفتاح لكشف الشبهات فما بين القواعد الأربع بهذه الطريقة إستطاع ان يتعرف على القواعد التي يحكم بها على الأقوال والأفعال والمعتقدات بأنها توحيد أو بأنها شرك فإنه سيسهل عليه إن شاء الله تعالى فهم كتاب كشف الشبهات الذي هو عصارة وخلاصة كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته كما قال بعض المشايخ .

١٤- يقول هل ممكن أن نعتبر متن القواعد الأربع تفصيل أكثر لما جاء في متن ثلاثة الأصول ؟

الجواب: لا ، هو نوع من التفصيل لكن لم يورد التفصيل به وإنما هو قد أفصح عن مقصده هنا بمعنى أنه أراد أن يبين لك القواعد التي تتعرف بها على الشرك لتنجو منه لأنه شبكة ليس أمراً هيناً كما سيأتي معنا إن شاء الله في الدرس المقبل لأنه سماه شبكة ليس بالأمر السهل ، فليس تفصيلاً لما جاء في الثلاثة الأصول وإنما هو بيان للقواعد التي يعرف بها التوحيد ويعرف بها الشرك .

١٥- يقول أحسن الله إليكم هل يجوز قولك ما دام متن القواعد الأربع بدوره يفصّل في أربع قواعد لإثبات التوحيد ؟ أحسن الله إليكم ، هل يجوز قول ذلك "الإنسان مبارك" ما حكم القول هذا "الجمع المبارك" أو "الحلقة المباركة" أو نحو ذلك ؟

الجواب: في الحقيقة السطر الأول من السؤال إن كان سؤالاً واحداً ما فهمته لكن الذي سأجيب عنه قول ما حكم القول هذا الجمع المبارك ؟

كما قدمت لكم إن أريد وهذا كلام شيخ الإسلام رحمه الله وهو كلام منضبط وتراجعونه وتكررونه لماذا ؟ لأنكم لن تقتفوا عليه لا عبر المكتبة الشاملة ولا عبر المواقع ولا عبر الشبكات لأنه ليست في كتاب مشهور عن شيخ الإسلام رحمه الله تعالى وإنما هو في كتاب طبع مؤخراً إسمه "اللمعة في الأجوبة السبعة" ، ولا أعلم أنه موجود لا في الفتاوى لا الكبرى ولا مجموع الفتاوى ولا أظنه أيضاً وإن لم أستخدم كما هو العادة لم أستخدم البحث في المكتبة الشاملة لكن هذا معرفتي لأن هذا الكتاب ليس موجوداً وهذا الكلام لشيخ الإسلام كلام مهم ما الذي تريده عندما تقول بركة فلان وهذا ببركة الشيخ ؟

ولهذا الألفاظ هذه المجملة التي تحتاج فيها إلى تفصيل وفطنة لا حاجة لها ، مثلاً الناس يقولون هذا المسجد المبارك لا بأس مبارك بإعتبار ما يتلى فيه من القرآن يعلم فيه من العلم وتقام فيه الحلقات والدروس والمواعظ والتذكير وهذا أمر واضح إن شاء الله .

١٦- يقول لماذا أقتصر المصنف بشرط واحد من شروط العمل في قوله إن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد ؟

الجواب: لأنه هو الشرط الأساسي ، الشروط الأخرى تابعة له هذا أمر ، ولأن المصنف رحمه الله تعالى أراد هنا أن يتكلم عن التوحيد والشرك وهذا مما يبيّن لك مقاصد المصنفين فهو لما أراد أن يتحدث عن التوحيد والشرك ذكر هذا المعنى وإلا فإنه لو ذكر جميع شروط العبادة أو شرطي العبادة سيطول المقام به ربما خرج به عن مقصوده .

١٧- يقول بارك الله فيكم ، وفيكم ، وحفظكم الله ، وأنتم حفظكم الله جميعاً ، هل ممكن أن نقول أن هناك صبر على أقدار الله التي يسر ؟

الجواب: لا ، ولا أعرف هذا في كلام أهل العلم وإنما هذا يسمى شكر إذا جاءت السراء تسمى شكر وإذا جاءت الضراء تسمى صبر كما ذكرت لكم في حديث اللحية صهيب بن سنان الرومي ، إذا كان الأخ يقصد هذا ؟

١٨- هل يجوز التبرك بماء زمزم ؟

الجواب: من جهة شربه وطلب الإستشفاء به ومسح الجسد نعم قد جاءت فيها الأحاديث وجاء عن العباس موقوفاً عليه [أن آية ما بينه وبين المنافقين أنهم لا يتولعون بماء زمزم وماء زمزم لما شرب له وطعام طعم وشفاء سقم] ، وكان النبي عليه الصلاة والسلام يمسح ما يلي بدنه منه ويرسل من ذهب إلى المدينة ومن المدينة إلى مكة أن يأتي بشيء من ماء زمزم .

١٩- يقول ما دام متن القواعد الأربع في دوره يفصّل في أربع قواعد في إثبات التوحيد هل يمكن أن أعتبره تفصيل أكثر لما جاء في متن ثلاثة الأصول ؟

الجواب: ممكن أن تعتبر هذا ، لكن هل هذا هو مقصود المصنف ؟ وهل هذا هو مفهوم من كلامه ؟ لم يظهر ، لم يظهر هذا ولا ما عرضناه على الشيوخ ولا فيما ذكر في الشروح والله أعلم إنه كتاب صنّفه أو رسالة صنّفها أفصح فيها أنه يريد أن يتعرف المسلم على القواعد التي يستطيع أن يميّز بها الشرك وأن يميز بها التوحيد .

هكذا إنتهت جزاكم الله خيراً .